أعلام الكويت

عبد العزيز الرشيد

مؤلف تاريخ الكويت

استمدت معلومات هذه الترجمة ، من مقالين نشرهما الأديب العراقي روفائيل بطي في مجلة « منيرفا » ببيروت ، على أثر صدور تاريخ الكويت . وقد أضيفت إليها حوادث مستجدة

مولده ونشأته :

هو الشيخ عبد العزيز أحمد الرشيد البداح . ولد في الكويت سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٧ م) فلما أتم الثامنة من عمره أدخله والده الكتاب فتعلم القرآن الكريم والخط ومبادىء الحساب . ولما ترك المكتب تعاطى التجارة مع أبيه ، وكان إذ ذاك من تجار الكويت المعدودين ويشتغل بتجارة الصوف وجلد الهم (الغوزى) فزاول البيع والشراء مدة وهو لا يفكر بالعلم . لأنه لم يتذوق حلاوته . لكنه أحب قراءة القصص الخرافية كقصة حسن الصائغ وغيرها .

ثم زاد هذا الولع حتى تحول إلى علاقة شديدة بالعلم فدرس الفقه والعلوم العربية والعقائد على الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان ، ولكنه وقد اشتد شغفه بالعلم نشأت في رأسه فكرة الرحلة في طلبه إلا أن أباه قاوم فكرة ابنه وحال دون بلوغه أمنيته ، وللأب عذره في هذه المعاملة القاسية لما كان يشاهده على طلاب العلم في الكويت من الزراية والفاقة ، غير أن الجوى لا يعرف الحدود فاذا طفح به القلب تدله به صاحبه لذلك ضرب الولد بنصائح والده في الكف عن طلب العلم ودبر وسيلة للسفر لانتجاع الآداب والعلوم .

رحلاته في طلب العلم:

انتهز الشاب النابه فرصة غياب والده عن البلد ، فرحل لأول مرة طلباً للعلم إلى الزبير (من أعمال البصرة) وتردد عليها مراراً وقرأ في أثنائها الفقه والفرائض والنحو . وأجل عالم أخذ عنه في مدارسها هو المرحوم محمد بن عوجان .

ثم قصد الأحساء وهناك قرأ على بعض الشيوخ شرح ألفية ابن مالك ورسالة في التصوف ولكنه لم يجد في الزبير والأحساء ضالته ، فقصد بغداد سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١ م) وفي بغداد قرأ على المرحوم الشيخ محمد شكري الآلوسي نبذة من شرح السيوطي على ألفيه ابن مالك وأكمل هذا الشرح على أخيه المرحوم السيد على علاء الدين الآلوسي . ويظهر أن بغداد لم تشبع شهوته الذهنية ، فرحل إلى مصر آملا دخول دار الدعوة والارشاد ، التي أسسها السيد رضا صاحب المنار ، إلا أن الظروف لم تتهيأ له لدخولها ، فبقي في مصر نحو أسبوع ، ثم غادرها لزيارة البلاد المقدسة ، ولم يمكث في مكة مدة طويلة إذ بارحها بعد موسم الحج سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م) وفي مدينة الرسول ألقى عصى تسياره وظل فيها نحو عشرة أشهر ، فأكمل حفظ وقراءة ونقد ألفيه العراقي في مصطلح الحديث ، ونظم جمع الجوامع

لسيوطى ، وعقـــد الجمان للسيوطى كذلك .

ولما كان المترجم عنه حنبلى المذهب ، فقد رغب الحنابلة فى المدينة إسناد الوظيفة الحنبلية إليه وسعوا فى الأمر لدى القاضى والمفتى إلا أنهم لم يفلحوا ، لوجود منافس له من أهل المدينة نفسها ، ثم عين مدرساً فى الحرم الشريف إلا أن المفتى علق الاذن له فى التدريس على نيل شهادة من بعض علماء الحرم ، فلم يتردد هؤلاء بالشهادة له بالفضل والقدرة ودام تدريسه شهرين ، ثم سافر إلى مكة ، وهناك زاد حنينه إلى مسقط رأسه الكويت .

وقد قام كذلك برحلات أخرى إلى بلاد كثيرة منها البحرين وبغداد والأحساء ودارين ونجد وهنديان وجاوة. وفى جاوة أدركته المنية بعيداً عن وطنه .

وشوقه إلى العلم لم يمنعه من أن ينصرف إلى بعض ماتتطلبه الحياة ، فتزوج سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) وأنجب من البنين ثلاثة ومن البنات اثنتين .

آراؤه وأفكاره .

تأثر عبد العزيز الرشيد بالبيئة التى نبت فيها ونما . فانطبع بذلك الطابع ، فكان يحرم مطالعة الجرائد والمجلات والكتب العصرية ، لأنها فى نظرة تجمع من الأخبار ماليس بصحيح وفيها من الآراء ما يعد معتنقيها من الزائغين ولم يكن ينفر منها فحسب بل كان ينفر الناس من اقتنائها وقراءتها كما كان يرى أن كثرة الاختلاط بالأغنياء لاتليق بأهل العلم ، وكذلك كان ينفر من تعلم اللغات أما العلوم العصرية . من طبيعة وجغرافيا ونحوهما ، فكان راغباً عنها ، لأن فيها نظريات مخالفة للدين ككروية الأرض وحركتها ، وكون المطر بخارا يتصاعد من الأرض ، إلى عقائد أخرى ، أعلن فيما بعد خطأه فى الاعتقاد بها . وهو يعزو الفضل الأعظم فى اتضاح الحق له فى هذه الشئون إلى أمور ثلاثة مطالعته للجرائد والمجلات ، قراءة الكتب العصرية ، رحلاته إلى بلدان مختلفة ، واجتماعه بكثير من أهل الفضل وما دار بينه وبينهم من بحث فى هذه المسائل .

وقد جعل همه بعد ذلك تأليف الكتب والرسائل فى دحض الآراء الفجة التى لايتمسك بها إلا الجهلاء وهو فى مؤلفاته جرىء يهوى الصراحة ، حتى عد فى بلده ناشزاً فى بعض آرائه ومبادئه ، وقامت فى وجهه صيحات عالية بسبب ذلك.

وألف سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) رسالة بعنوان «تحذير المسلمين» فى الرد على الأستاذ معروف الرصافى فى قصيدته «التربية والأمهات» إلا أنه كف من حدته على المرأة ورأى أخيراً وجوب خروج البنات إلى المدارس للتثقيف أما الحجاب فهو فى رأيه لايحول دون تعليم المرأة .

حياته العملية .

كان عضواً فى الجمعية الخيرية التى تأسست فى الكويت سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢م) وكان يتذاكر فى ناديها مع إخوانه فى الفقه والعقائد وعلوم الآلة . وانتدب سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) لإدارة المدرسة المباركية ، وزاول الإدارة والتعليم زهاء سنتين .

وبعد أن ترك العمل فى هذه المدرسة أنشأ مع بعض المعلمين مدرسة جديدة عرفت باسم (المدرسة العامرية) ولكنه لم يعلم فيها لأنه انصرف إلى التجارة حتى رأى الشيخ أحمد الجابر ، ولى عهد الامارة إذ ذاك «سمو الأمير الآن» أن يتخذ له واعظاً فى مجلسه العام فأسند هذه الوظيفة له . وحينما وقعت حادثة الجهرة فى محرم سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) شهد المترجم عنه هذه المعركة ، بنفسه ، وجرح فيها . وطلب بعدها للذهاب للتدريس فى البحرين ، إلا أن سمو الأمير وبعض وجوه البلد لم يدعوه يذهب حرصاً على وعظه وإرشاده ، وحينما تولى سمو الشيخ أحمد الإمارة وألف المجلس الادارى ليكون عوناً للأمير فى إدارة البلاد كان المترجم عنه أحد أعضائه .

وسعى سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) فى تأسيس المدرسة الأحمدية واشتغل فى التعليم فيها وعمل مع العاملين فى تأسيس النادى الأدبى سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وألقى فيه أول محاضرة وكان موضوعها (الخطابة) .

أخلاقه وميزاته:

هو مثال للتواضع ومعرفة النفس متكلم بهدوء ووقار ، فيستولى على جليسه بلطفه وحيائه وصدقه . لم يعتد التدخين وهو يلهو بمطالعة الكتب على أنواعها ، ولا يقرب الروايات وإذا خلى إلى نفسه انصرف إلى قلمه وقرطاسه وكتابه .

كان أول أمره يلبس مايلبسه الرجال فى بلده من العباءة والكوفية والعقال . وكان طلبة العلم يضعون العمامة فوق الكوفية ، فخرق هذه العادة ، ولبس الجبة والعمامة الصغيرة .

مؤلفاته :

١ — « تاريخ الكويت » ، فى جزأين ، طبع بغداد .

٢ — « تحذير المسلمين » ، طبع بغداد ، ألفها بإشراف أستاذه الآلوسى وإغرائه ، فى تفنيد قصيدة الرصافى التى مطلعها .

هى الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات

٣ — محاورة إصلاحية ، وضعها لطلاب المدرسة الأحمدية سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م)

٤ — « الدلائل البينات فى حكم تعليم اللغات » ، طبعت بمطبعة المنار ، وفيها دحض لحجج المنكرين لتعليم اللغات الأجنبية .

وله مؤلفات مخطوطات وهى :

١ — « تحقيق الطلب ، فى رد تحفة العرب » رد بها على القاديانى ، مسيح الهند وأتباعه .

٢ — رد على كتاب ابن عقيل الحضرمى (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) لتحرشه بأفاضل الصحابة وأئمة الحديث .

٣ — « الهيئة والاسلام » ، حشد فيها كثيراً من البراهين على ماتعتقده العامة مخالفاً للدين . كروية الأرض وحركتها .

وقد نشر بضع مقالات فى جرائد بغداد ومجلاتها ، ومجلة الهلال ، وجريدة الشورى فى مصر ، وأصدر مجلة اسمها (الكويت) تطبع فى مصر ، وفى جاوه ، واشترك مع السائح العراقى يونس بحرى ، فى إصدار مجلة عربيه هناك اسمها « الكويت والعراق » .

اطبعوا مطبوعاتكم فى

مطبعة دار التأليف

٨ شارع يعقوب بخصوص

التى امتازت بنظافة مطبوعاتها واتقان أعمالها
ورخص أسعارها وصدق مواعيدها

نصيحة ! .

إذا غنيتَ للجب فيا للجهل والغفلة !
وإن غنيت للمجد فما أحراك بالقتلة !
وإن عشت بلا شدو فأنت الأخرس الأبله!
إذن فانعق مع الغربا ن فى الحلة والرحلة !
وذا العوراء فامدحه وذا السوءاء فاركع له
وقل للفأر يا نمر وقل للفيل يا نملة
وكن إمَّعَةَ القوم إذا أشكلت العلة
تجد حولك من يهتف فى أفضالك الجزلة
ومن يخلع نعليك ومن يلبسك الحلة
وأنت البدر فى النادى وأنت الشمس فى الحفلة !
فلا غرو إذا خفت لك الألقاب بالجملة
أما استعصمت بالعليا ء واستفردت بالكملة؟
ومارست الذى يرضى سواد الناس من نحله؟

أحمد العدوانى

شح !..

قال ابن الرومى يصف بخيلا اسمه عيسى :

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد
ولو يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد

ندوة البعثة

الحاضرون :
الأستاذ المشرف ، أحمد العدوانى ، على زكريا ، عبد الرزاق الخالد . محمد الفهد ، قاسم مشارى ، يعقوب قطامى ، خالد خرافى
كتب محضر الاجتماع :
مهلهل مضف وأحمد زكريا .

استهل الأستاذ المشرف الاجتماع بمقدمة تحدث فيها إلى الحاضرين ذاكراً أن الموجودين فى هذه الندوة جميعهم من الطلبة الذين زاروا الكويت هذا العام وفيهم من غاب عن الكويت مدة قد تطول إلى تسعة أعوام كالزميل أحمد العدوانى . وقد تقصر إلى عامين كالزميل يعقوب قطامى ، ثم وجه إلى الجميع السؤال التالى :

ـ غبتم عن الكويت مدة من الزمن ، فما هو التطور الذى شاهده كل منكم فى زيارته الأخيرة ؟

خالد ـ لاحظت إقبال الكويتيين على العمل إقبالا شديداً ، وبالأخص فيما يختص بشركة النفط ، وكان من نتيجة ذلك إقبالهم على تعلم اللغة الانجليزية ، لأنها إحدى الوسائل التى تؤهلهم للعمل والترقى فى محيطها .

المشرف ـ لا شك أن اتساع العمل فى الشركة أنتج رخاء مادياً فى الكويت ، فهل انتفع الكويتيون نفعاً ملموساً من وراء هذا الرخاء ؟

خالد ـ نعم انتفعوا نفعاً ظاهراً .

المشرف ـ هل تعتقد أن الوظيفة التى نالها فريق من الأهالى هى النفع الذى عاد على الكويت ؟

يعقوب ـ أعتقد أن النفط أساء إلى الكويت فى هذه الناحية لأنه استحوذ على المدرسين والمتقدمين من التلاميذ ، حيث ذهبوا إلى العمل هناك وتركوا المدارس .

قاسم ـ كما إننى ألاحظ أن الرخاء المادى الذى سببه النفط غير موزع توزيعاً عادلا .

محمد ـ وأن الفائدة التى تجنيها الشركة أكثر بكثير مما يجنيها الأهلون .

عبد الرزاق ـ وأن عدم وجود العدد الكافى من المتعلمين الكويتيين جعل الموظف الكويتى يفقد شيئاً من شخصيته إلى حد ما . ولعل ذلك راجع إلى افتقار البلاد إلى المتخصصين ، هذا مع كفاية الموظف والعامل الكويتى المشهود بها .

على ـ أعتقد أن الرواج المالى والإقبال على المادة جعل الكثيرين ينصرفون عن العلم بمعناه الصحيح .

المشرف ـ ليعقوب ـ وما التطور الذى لاحظته أنت؟

يعقوب ـ كثرة عدد السكان وتنوع الأجناس ، وأزمة المساكن . وذلك راجع إلى نقص الأيدى العاملة فى الكويت .

المشرف ـ إن الأمم المتقدمة تضع الكثير من من الشروط لمن يريد المهاجرة ، منها أن يكون المهاجر صحيح الجسم قادراً على الانتاج مالكا لرأس مال محترم ؛ حتى لا يقتسم رزق الأهالى الأصليين ، وهذه الحالة لا تطبق إلا فى البلاد التى فى حاجة إلى زيادة سكانها ، وأما غيرها فانها لا تسمح إلا لمن هى فى حاجة إلى مواهبه وخبرته .

عبد الرزاق ـ لقد تسببت الهجرة المطلقة إلى الكويت بكثير من المساوىء .

المشرف ـ لقاسم ـ وما هو الجديد الذى لاحظته فى الكويت ؟

قاسم ـ لاحظت رواج الثروة مع عدم وجود التجديد ووسائل الاستغلال الحديثة .

المشرف ـ ما السبب الذى تراه فى عدم التجديد ؟

قاسم ـ عدم إدراكنا للفنون الحديثة فى استغلال الثروات .

عبد الرزاق ـ وهناك

كان مما لاحظه الجميع فى الكويت ، طغيان أعمال الشركة على الأعمال الأخرى التى يمتهنها الكويتيون منذ زمن . وكان من نتيجة ذلك قلة عدد البحارة للسفن التجارية ، مما جعل أصحاب السفن يستقدمون بحارة من الأجانب . وفى رأينا أن العمل فى السفن من أهم الخصائص للحياة الكويتية التى نأسف أن يصيبها الكساد والتدهور .

الرغبة فى الكسب السريع دون النظر إلى المستقبل البعيد .

المشرف — وما الذى لفت نظرك أنت بصورة خاصة ؟

عبد الرزاق — تطور فن المعمار فى الكويت ، إذ أخذ الكثيرون يميلون إلى الطرق الحديثة فى البناء .

يعقوب — أعتقد أن الجميع يوافقوننى على أن ذلك على نطاق ضيق جداً ، وبين أشخاص معدودون .

المشرف — وما هى الوسيلة التى ترونها لتنظيم العمران ؟

أحمد — سيطرة الحكومة عليه والاستعانة بخبراء التنظيم .

على — تقوم الحكومة ببنـــاء البيوت وتتقاضى التكاليف من أصحابها .

المشرف — أعتقد أن من واجب الحكومة أن تضع نظاماً تفرضه على أصحاب البيوت ، يكفل وجود بيوت تتوافر فيها المرافق الصحية والشروط اللازمة للساكن المتمدين .

على — لقد لفت نظرى أن الآباء بدأوا يهتمون بتربية أبنائهم تربية صحيحة أكثر من الماضى ، إلا أن هدفهم للأسف هو الوظيفة .

المشرف — إلى أى مدى يترك الأب لابنه حرية الدراسة ؟

على — إلى أن يعرف اللغة الانجليزية ! . . .

أحمد — إن المادة تتحكم فى التعليم تحكما ظاهراً . .

خالد — لابد من وسيلة يقتنع بها الكويتيون فى تعليم أبنائهم تعليما صحيحاً ، بعيداً عن التأهيل للوظيفة .

أحمد — إن أوضح ما لاحظته فى الكويت ، هو التضخم المالى وغلاء المعيشة ، وأرى أن من أهم الوسائل للقضاء على هذا الغلاء هو منع تصدير ما تحتاجه البلاد ، وسيطرة الحكومة على الأسعار ، ومنع الأجانب غير المنتجين .

أحسن منظر صادفوه فى الكويت :

على — الشمس وقت الغروب .

أحمد — المقبرة والصحراء ! . .

يعقوب — الزبيدى على المائدة ! . .

قاسم — شروق الشمس فى البر .

محمد — الليالى المقمرة على رمال الساحل .

عبد الرزاق — الخبارى بعد سقوط الأمطار .

خاله — الصفاة يوم الخميس .

سأل الأستاذ المشرف الحاضرين عن أبرز ما انطبع فى أذهانهم أثناء المدة التى قضوها فى الكويت فقالوا :

أحمد — كلمة سمعتها من الأستاذ عبد العزيز العتيق : الكويت فى حاجة إلى العمل ، فقل لإخوانك أن يعملوا دون أن ينظروا إلى الزمن .

على — حماسة الشباب النظرية للعمل الاجتماعى .

عبد الرزاق — رغبة الكويتيين الشديدة فى التقدم

محمد — انتظار الكويتيين بفارغ الصبر لعودة الطلبة من مصر .

قاسم — ثقة الكويتيين بعضهم ببعض فى المعاملات

يعقوب — الرحلات والنزه التى قمت بها فى البر .

خالد — الفراغ وكيفية تبذيره فى الكويت .

من أطرف ما حدث لهم فى الكويت

أحمـــد — الكويت تعج بالأجانب ومن بينهم الكثيرون من الهنود ، وذهبت يوماً أشترى بعض حاجتى من أحد الباعة ، ويبدو أنه استغرب لهجتى فظننى هندياً وأخذ يكلمنى باللغة الهندية وهو يضحك مع شخص معه . ولولا لطف الله لحدث لى معه مالا تحمد عقباه .

يعقوب — كنت مع أحد الأصـــدقاء فى زيارة للأحمدى وقابلنا هناك زميل آخر فأخذ يسلم على صديقى وهو يدعوه باسم غير اسمه ، فنبهته إلى أن هذا ليس فلاناً بل أخوه ، فقال (يعتذر بلطف) متأسف جداً ، إن البقر تشابه علينا ! . .

على — أشيع أن هناك لصاً فى الكويت يسطو على البيوت ، واستيقظ الناس فى حيناً فى إحدى الليالى على ضوضاء فى أحد البيوت ، وهرع الناس إلى ذلك البيت ، وإذا بصاحبه يصيح : الحرامى هنا . . الحرامى هنا . . واقتحم الناس البيت ، فاذا بالحرامى قط ! . .